مجلة روافد للبحوث و الدراسات / مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية
جامعة غرداية / العدد السابع ( ديسمبر 2019 م )
E: 2588-1787 / P: 2543 - 3563
/http://rawafid.univ-ghardaia.dz

# علاقة الطبقة المهمّشة بالفئات الحاكمة بالمغرب الأوسط

# خلال العصر الوسيط

**طالب دكتوراه/ رزين عز الدين**
**جامعة طاهري محمد بشار**
Email : rezineazeddine@yahoo.com
**د/الزين محمد**
**جامعة سيدي بلعباس.**
Email : rezineazeddine@yahoo.com

## ملخص

يتناول هذا المقال ظاهرة من الظواهر الاجتماعية التي شهدتها بلاد المغرب الأوسط الوسيط، والتي تتمثل في علاقة أفراد الطبقة الاجتماعية المهمشة بفئة الحكام وكبار رجالات الدولة من (خلفاء أمراء ولاة، قضاة) ،هذه العلاقة تميّزت في مجملها بتفاعل واحتكاك مستمر بين الطرفين فرضته الحاجة الإنسانية والمصالح المتبادلة، فاهتمام الحكام بالمستضعفين من رعاياهم ومراعاة مصالحهم قوبل بالارتياح والطاعة منهم والعكس صحيح؛ فتهميش بعض الحكام للفئات المعوزة في دولهم تولَّد عنه تمرد وعصيان؛ وهو الذي أفرز بدوره أفات اجتماعية خطيرة عرقلت السير الحسن والهادئ لحياة مجتمع المغرب الأوسط الوسيط ككل .

**الكلمات المفتاحية :** المغرب الأوسط ؛ الطبقة المهمشة ؛ فئة الحكام ؛ كبار رجالات الدولة .

## The relation of the marginalized class with the ruling groups in the Central Maghreb countries

## Abstract

This article deals with one of the social phenomena witnessed by the Central Maghreb countries, which is represented in the relation of members of the marginalized social class with the class of rulers and senior statesmen of the state from (successors, princes, governors, judges) This relation was characterized in its entirety by the

interaction and friction between the two parties Imposed by the human need and mutual interests, the rulers' interest in the weakest of their subjects and the observance of their interests was met with satisfaction and obedience from them, and vice versa, and the marginalization of some rulers of needy groups in their countries generated rebellion and disobedience, which in turn resulted in serious social pests that impeded the good and quiet functioning of the Maghreb life as a whole.

**Key words:** Central Maghreb, marginalized class, rulers class, senior statesmen.

**تقديم:**

عُرِفَ عن المجتمعات الإسلامية في العصور الوسطى نظام الطبقية ومنها بلاد المغرب الأوسط الذي تشكل نسيجه الاجتماعي من خليط من الأجناس والأعراق التي كونت هي الأخرى مجموعة من الطبقات الاجتماعية ومنها طبقة المهمشين أو المستضعفين ، وهي الفئة التي يقبع أفرادها في أسفل الهرم الاجتماعي ، وهؤلاء هم أولئك المحتاجين والمعوزين وفقراء الحال الذين يصارعون من أجل الحصول على فرص العيش الكريم .

ولم تعش العناصر البشرية المهمشة بمعزل عن باقي الشرائح الأخرى من المجتمع، وخاصة منهم أصحاب السلطة من حكام وكبار رجالات الدولة ، فتهميشهم كان نتاج إفرازات الظروف الأمنيـــة

والتحولات السياسية، ولذا فتأثيرهم في جماعة الحكام وتأثرهم بهم كان مستمرا ودائما.

**01 – علاقتهم بالحكام :**

كان نظام الحكم في بلاد المغرب الأوسط الوسيط ذو طابع وراثي يستأثر فيه الخليفة بجميع السلطات الروحية والزمنية، وقد ظلت مقاليد الحكم فيه في أيدي مجموعة من الأسر المشهورة، وبما أن الحاكم كان في نظر الرعية هو الراعي الأمين والحارس المخلص للشريعة وأصلح الناس فنلتمس وجود احتكاك كبير بين

المهمّشين وهؤلاء الحكام [1] فأئمة الدولة الرستمية عملوا جاهدين على تحسين أوضاع هذه الطبقة باتخاذ مجموعة من السبل والتدابير؛ كإنكار المنكرات في الأسواق والاحتساب على الفساق [2] فسياستهم في مجملها تميزت بالرفق و اللين فالإمام عبد الرحمن كان متحليا بالفضل والورع و الزهد في متاع الحياة الدنيا محبا للرعية مساعدا للفقراء و المساكين و المحتاجين [3].

ويذكر ابن الصغير أيضا أن الإمام أبا حاتم، منذ أن كان شابا كان يجمع لنفسه الشتات فيطعمهم يكسوهم و ينظر في أمورهم [4] إن هذا إن دل على شيئ فإنه يدل على قرب الحكام الرستميين من هذه الفئة و مراعاتهم لأحوالها ، والعمل على إدماج إفرادها في باقي فئات المجتمع الرستمي .

أما الخلفاء الفاطميون، فالملاحظ عنهم في علاقاتهم بهذه الفئة أنها علاقة كره واحتقار، إذ أن الفاطميين نظروا إلى العامة من المجتمع على أنهم مثل الحجر عالة على دولتهم و كيانها ككل باستثناء عنصر العبيد الذين حظوا بمكانة لم يحظوا بها في أي دولة أخرى، لاسيما في تقلّد المناصب السياسية و العسكرية؛ كالعبد ميسور الفتى الذي ولاه الداعي الشيعي أبو عبد الله على مدينة تيهرت بعد السيطرة عليه[5] والفتى بشرى الذي ترأس الجيش الذي خرج لبلاد المغرب الأوسط بعد ذيوع خبر أبي يزيد

1 – فتيحة عبد الفتاح النبراوي ، تاريخ النظم و الحضارة الإسلامية ، طبعة 01 ، دار الميسرة للنشر و التوزيع عمان الأردن ، 2012م ، ص ص 67 – 68 .

2 – ابن الصغير المالكي ، أخبار الأئمة الرستميين. تحقيق إبراهيم بحاز. ومحمد ناصر ، ص 55.

3 – ابن الصغير المالكي ، المصدر السابق ، ص 30.

4 – المصدر نفسه ، ص 89.

5 – إبن عذاري المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، تحقيق بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد ، طبعة 01 ، مجلد 01 ، دار الغرب الإسلامي ، تونس. 2013م ، ص 209.

الخارجي[1] بالمقابل فإن عناصر الطبقة المهمشة أثارت المتاعب و عرضت استقرار الحكم الفاطمي للخطر خاصة الزناتيين منهم كأبي يزيد الخارجي [2]الذي ركّز نشاطه على بلاد المغرب الأوسط واستعان بالأمويين على الفاطميين الذي ساروا السيرة غير المقبولة في رعية في نظره [3] .ولهذا السبب، نجد أن الخليفة المعز لدين الله انتهج منهجا أخر في التعامل مع أصحاب الطبقة الدنيا من فقراء و متسولين وغيرهم من خلال إغداق الأموال عليهم ومحاولة تحقيق رغباتهم ومحاربة المفسدين في مجتمعه . ومما يدل على اهتمامه بهذه الشريحة هو ما قام به في سنة 351هـ حينما كانت عماله في سائر البلاد من أقصاها إلى أقصاها بأمر بظهور من وجد بها من سائر أولاد الخلق حرهم وعبدهم أبيضهم وأسودهم ودنيئهم وشريفهم، وأمر القيام بجميع نفقاتهم وكسوتهم وما يصلح أحوالهم من مأكل و مشرب [4] .

أما الأمراء المرابطين، فقد عرفوا بانقيادهم وطاعتهم وفضلهم وورعهم وسداد رأيهم، وهو ما جعل البناء الاجتماعي يعرف تطورا عميقا في الفترات الأولى لحكمهم يتلاءم بذلك مع الأهداف الدينيـــة

و السياسية للحركة المرابطية، بحيث أضافت مهاما جديدة في بعض الفئات و رفعت بعض الأعباء عن فئات أخرى من المجتمع فالخليفة يوسف بن تاشفين حرص على رعاية مجتمعه على اختلاف طبقاته فمثلا في سنة 464هـ استدعي جميع أمراء

1 – تقي الدين علي بن أحمد المقريزي ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق جمال الدين الشيال ج 01 ، طبعة02 ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية . القاهرة مصر . 1996م ، ص 94.

2 – أبو يزيد الخارجي : مولده ببلاد السودان زناتي الأصل انتقل إلى بلاد المغرب وتعلم القرآن خالط جماعة من .النكار وتمذهب بمذهبهم قاد أكبر ثورة ضد الحكم الفاطمي بالمغرب ينظر: ابن أبي الدينار ، المونس في أخبار إفريقية وتونس ، طبعة 01 ، تونس . 1869م ، ص 56.

3 – مرمول محمد الصالح ، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية بالمغرب الإسلامي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1983م ، ص ص 181– 182.

4 – تقي الدين علي ابن أحمد المقريزي ، المصدر السابق ، ص 94.

المغرب و أشياخ القبائل من زناتة و غمارة المصامـدة وسائر قبائل البربر فقدموا عليه و بايعوه ...، ثم خرج للطواف على أعمال المغرب وتفقد أحوال الرعية فصلح على يده الكثير من أمور الناس [1] . كما أن الأمير علي بن يوسف لما تولى حكم الدولة أقام العدل وضبط الثغور وسرح السجون وانفق الأموال على من يستحقها من المحتاجين[2].

وبالجملة، فإن الخلفاء المرابطين أعطوا سكان بلاد المغرب الأوسط هدوء و رخاء نسبي كما عملوا على نشر الصفات الحميدة بين أفراد المجتمع وحاربوا شتى أنــواع الانحلال الخلقي من شرب خمـر وزنى وسرقة .

أما العهد الحمادي، فقد تميز بإهمال كبير من طرف الحكام لإفراد مجتمعهم ولاسيما في عهد الحكام المستضعفين الذين انشغلوا في اللهو والملذات ومن القرائن الدالة على هذا هو الانتشار الكبير للرذائل و فساد الكثير من الرجال و النساء وظهور العديد من الآفات الاجتماعية التي لا تمت بصلة لطبيعة مجتمع المغرب الأوسط المسلم في عقيدته[3] .

أما الخلفاء الموحدون، فرغم قسوتهم وصلابتهم، إلا أنهم لم يفرطوا في حاجة رعيتهم لهم، حيث يذكر ابن صاحب الصلاة أن مناقب الخلفاء الموحدين كلما كانت سياسة جديدة يحاولوا أن يشعروا ما ترى الناس بظروف ذلك الحادث من خلال القيام ببعض الأعمال كالإطلاق سراح المسجونين من المعتقلين المخالفين والإغداق من خبراتهم على الضعفاء و المحتاجين كما عملوا على قمع كل مسؤول أو وال يظهر

1 – أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، الاستقصاء الأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري ، ج 02 ، ب ط ، دار الكتاب الدار البيضاء المغرب. 1954م ، ص 27.

2 – ابن أبي زرع الفاسي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار صور للطباعة والوراقة ،الرباط ، المغرب ، 1972م ، ص 157.

3 – إبن القطان المراكشي ، نظم الجمان لرتيب ما سلف من أخبار الزمان ، تحقيق محمود على مكي ، طبعة 01 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان. 1990م ، ص 93.

عليه التعنت و الانحراف والزيغ[1] ،كما حاربوا كل محرم دنيء مضر بالمجتمع الإنساني فالخليفة الثاني أبو يعقوب المنصور شدد على لزوم الصلاة وحارب الفساق وأقام عليهم الحدود ومن مناقبة أيضا أنه في مرة واحتفالا بالنصرة على ابن مردنيش قام فكسا العبيد بالثياب المصنعة بالألوان[2] . إن هذه المبادرات جلبت هؤلاء الحكام على مقربة من الفئات المعوزة من رعاياهم وهو ما أدى إلى انصياعها لهم و مسارعتها لإرضائهم وخدمتهم خاصة في عهد الحكام الأقوياء في كل دولة من أمثال الإمام الرستمي عبد الرحمن والخليفة و المرابطي يوسف بن تاشفين وكذا عبد المؤمن بن علي في دولة الموحدين .

## 02 – علاقتهم بالولاّة :

نجد عنصر الولاة من كبار رجالات الدولة وأسمى إطاراتها الحاكمة. وإذا ما بحثنا في علاقة هذا الجهاز الحاكم بعناصر الطبقة المهمشة، نجد أن هذا الأخير كان الأقرب إلى معرفة أحوال المجتمع من الحاكم العام خاصة وأنهم مستقرون في الولاية أو إقليم معين [3] .

ولا غرو إن قلنا أن الإمام عبد الرحمان وخلفائه كانوا يولون العمل على أقاليمهم من الزّهاد المتورعين العادلين الذين ينفقون الأموال في فقرائهم ومرضاهم ومعوزيهم، فالإمام الأول لما كان يجمع الأموال أول ما كان يقوم به هو إعطاء الولاة المال قدر ما يستحقون من هذا المال لسد حاجاتهم العسكرية والاقتصادية والاجتماعية [4] ،كما أن والي نفوسة في عهد محمد بن يوسف بن أفلح وهو ابن منصور

1 – عبد الملك ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة على المستضعفين ، تحقيق عبد الهادي الشاوي ،ط 03 ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ، 1987م ، ص 44.

2 – عبد الملك ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 164.

3 – أنور الرفاعي ،النظم الإسلامية ، طبعة 01 ، دار الفكر ، دمشق. سوريا ، ص 126.

4 – ابن الصغير المالكي، المصدر السابق، ص 35.

إلياس اتسم بأخلاقه العالية وسداد رأيه وعمل دائما على توفير الأمن والاستقرار في حيز إقليمه من خلال التصدي لكل الفتن والقلاقل ومظاهر الفساد والمفسدين [1] .

أما ولاة العهد الفاطمي، فاحتكاكهم يمثل هذه الطبقة الاجتماعية كان نادرا وقليلا لسببين الأول إما لانشغالهم بأغراض سياسية وأمنية من حروب وفتن و تمردات داخلية وخارجية أو نتيجة لكرههم لهذه الشرائح الاجتماعية ، مثلا نجد أن والي تيهرت في عهد الداعي أبو عبد الله الشيعي ميسور الفتى سار في الرعية بسيرة غير مقبولة حتى اتفق أهل البلد واضطربوا عليه وعزلوه من مذهبه [2] . ولعل أصدق مثل على هذا الكلام هو تلك الثورة التي قامت ببلاد المغرب مطلع سنة 367هـ أثناء صراع الدولة الفاطمية مع القوة الأموية بالأندلس فهذه الثورة بقيادة حميم المفتري [3] .كما سموه المعارضين لحركته، حيث تبنت هذه الثورة تحقيق طموحات العوام والمستضعفين لذين كانوا يعانون من ويلات الفقر والقحط والمجاعات والأوبئة بين الحروب المستمرة والسياسات المتعسفة من الحكام والولاة [4]. مع كل هذا لا يجب نكران بعض المواقف لعطف هؤلاء الولاة اتجاه هذه الشريحة الاجتماعية.

1 – أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني ، طبقات المشايخ بالمغرب ، تحقيق إبراهيم طلاي ، مطبعة البعث قسنطينة. الجزائر ، ص 49.

2 – إبن عذاري المراكشي ، المصدر السابق ، ص 209.

3 – هو حميم عبد الله بن جرجير يكنى أبا محمد إستقر سنة 323هـ بجبل حميم بالقرب من تيطوان ادعى النبوة و كثر أتباعه قاد ثورة ضد الفاطميين وقضي عليها عبد الرحمن الناصر سنة 315هـ ينظر إلى ابن خلدون ،العبر وديوان المبتدأ و الخبر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، مرا جعة خليل شحادة وسهيل زكار ، ج 06 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 2000م، ص 285.

4 – محمود إسماعيل ، المهمشون في التاريخ الإسلامي ، طبعة01 ، دار الرؤية للنشر و التوزيع القاهرة – مصر 2004م ، ص ص 94، 95.

والنظر في شؤونها فالكثير منهم ممن حاولوا إرضائهم للحصول على تأييدهم وذلك من خلال التقرب منهم وتسهيل الحصول على شكاويهم ومحاولة إصلاح أحوالهم [1] .

أما فترة الحكم المرابطي، فيظهر فيها أن الولاة الأقاليم كانوا حريصين على تنظيم شؤون حياة مجتمعهم خاصة في ظل حكم الخليفة يوسف بن تاشفين الذي كان يستدعيهم من حين لآخر وبحرص على مراقبتهم و إمدادهم بما يستحقونه من الأموال و النفقات للنظر في أمور الرعية خاصة المحتاجين منهم [2]، ولهذا فإن الولاة المرابطين نجحوا في تنظيم البلاد وإعطاء الضعاف من أهلها ميلادا روحيا جديدا من خلال الالتفاف عليهم ومحاولة إدماجهم في الحياة الاجتماعية من خلال تعليمهم بجلب العديد من الفقهاء ومن مختلف الحواضر المغربية والأندلسية لتنمية شعورهم الديني والثقافي تجاه مجتمعهم[3] .

بالمقابل، فإن شساعة رقعة الدولة المرابطية وإقبال الناس على حياة الترف خلقت العديد من الولاة و العمال الخائنين الذين أنهكوا كاهل الرعية بالضرائب وسخروا معظم موارد الإقليم أو الولاية لخدمة مصالحهم الخاصة ومصالح ذويهم، وهو ما نتج عنه تفاقم أعداد الطبقة المهمشة واستيائها من الأوضاع العامة ، وتحينها الفرصة للتمرد على نظام الحاكم [4].

1 –عبد المنعم عبد الحميد سلطان ، الحياة الاجتماعية في مصر في العصر الفاطمي ،( دراسة تاريخية و وثائقية ) ، طبعة 03 ، مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية – مصر ، ص 71.

2 – أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ص 27.

3 – الحسن السامح ، الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب ، طبعة 02 ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، الدار البيضاء المغرب ، 1977م ، ص 299.

4 – أبي الوليد محمد ابن رشد القرطبي ، فتاوى إبن رشد ، تقديم تعليق المختار الطاهر التليلي ، ج01 ، ط 01 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت – لبنان ، 1987م ، ص 289.

أما ما يمكن قوله عن العهد الموحدي في علاقة الولاة بالطبقة المهمشة ، فيجدو أن سلطة هذا الأخير في عهد القوة لم تكن مطلقة تمنح الوالي كل الحرية في إدارة شؤون ولايته [1] وإنما خضعوا لمراقبة دقيقة ومحاسبة عسيرة من طرف الخلفاء [2] ولاريب في أن مهمة هؤلاء الولاة كانت أمنية بالدرجة الأولى وربما هذا راجع لكثرة القلاقل و الحروب و الفتن الداخلية و الخارجية فالمجتمع بكامل أطيافه ومنه المهمشون عانا كثيرا من جراء هذه الحروب و الفتن في مختلف ولايات الخلافة الموحدية[3] . أما في عهود الضعف والاستغلال فقد استبد الكثير من الولاة بما يسطو عليه سلطتهم من ملك غير مباليين بالرعية ومشاكلها ، ومن أبرزهم يغمراسن بن زياد الذي استقل بحاضرة تلمسان وعبد الطريق لميلاد الدولة الزيانية المستقلة عن سلطة الموحدين [4].

### 03.علاقتهم بالقضاة :

يُعد القضاء من أحد الوظائف الدينية التابعة للخلافة ، غايتها فض النزاعات والخصومات بين الناس و ضبط معاملاتهم ، من شروط صاحبها الاتصاف بالعدالة الشرعية و البراءة من الجرح وإصدار الأحكام وفقا لما تنص عليه الشرائع المستقاة من الكتاب والسنة [5] لقوله تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾[6].

1 – عز الدين عمر موسى ، الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم ، دار الغرب الإسلامي ،ص 184.

2 – عبد الملك بن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص 44.

3 – عز الدين عمر موسى ،المرجع السابق، ص 185.

4 – المرجع نفسه ، ص ص 186 ، 187.

5 – عبد الرحمان إبن خلدون ، المقدمة ، تحقيق أحمد الزعبي ، شركة الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر و التوزيع ، ص 256.

6 – القرآن الكريم ، سورة المائدة ، الآية 50 ، برواية ورش عن نافع المدني .

وفي دول المغرب الأوسط، كان لمديري جهاز القضاء احتكاك كبير بالفئات المهمشة داخل النسيج الاجتماعي ، فبالإضافة إلى إطلاع القضاة على أحوال هذه الجماعات البشرية في سلوكـها

ومعاملاتها ، وأوضاع معيشتها ، فإن هذه العناصر غالبا ما رفعت شكاويها واحتياجاتها لهؤلاء القضاة باعتبارهم أقرب الأشخاص الحاكمين الذين يمكن الوصول إليهم ورفع انشغالاتهم عليهم مباشرة بدون وسطاء [1] ، فمثلا في أواخر العهد الرستمي، وفي فترة حكم الإمام أبي اليقظان ، فإن جارية سرقت ابنتها وفضلت أن تودع شكواها لدى قاضي الإمام وهو محمد بن عبد الله؛ باعتبارهم أكثر الناس نيلا لثقة مثل هؤلاء الناس، وأشدهم وأقدرهم على جلب حقوقهم والدفاع عن شرفهم وكرامتهم[2] والعهد الفاطمي بدوره شهد تقديسا و تعظيما كبيرا للقضاة باعتبارهم أحد الأجهزة الحاكمة الفعالة في إدارة المجتمع و الحياة الاجتماعية بالدرجة الأولى ، ولعلّ أبرزهم محمد بن عمر المروزي قاضي الداعي أبي عبد الله الشيعي و إسحاق بن أبي المنهال وقاضي القضاة النعمان بن محمد ابن حيون التميمي المغربي ، وبالإضافة إلى ما قام به هؤلاء القضاة من خدمة لمختلف أجهزة الدولة الإدارية والسياسية والدينية، فقد حاولوا كسب وّد ودعم العامة من المجتمع الفاطمي وأتباع المذهب الإسماعيلي خاصة الشرائح الضعيفة كالعبيد الذين خصصهم القضـاة الفاطميون بحـرص وتسوية خاصة لأوضاعهم لأنهم اعتمدوا عليهم كثيرا في مشاريعهم السياسية والعسكرية ببلاد المغرب الأوسط والمغرب الإسلامي عموما فمنحوهم عدّة امتيازات، لعل أبرزها منح المساواة للعبيد الذين يُعْتِقُونْ بالأحرار سواء بسواء[3].

1- النبراوي فتيحة عبد الفتاح ، تاريخ النظم و الحضارة الإسلامية ، طبعة 01 ، دار الميسرة للنشر و التوزيع عمان ، الأردن ، 2012م ، ص ص 143-- 145.

2 - إبن الصغير المالكي ، أخبار الأئمة الرستميين ، تحقيق : محمد ناصر و إبراهيم بحاز ، ص 79.

3 - مرمول محمد الصالح ، المرجع السابق ، ص ص 263- 264 .

ولم يقتصر دور القضاة في فترة حكم الدولة المرابطية على تنظيم المعاملات و فك الخصومات و العطف على الضعاف من المجتمع و إرجاع حقوقهم لهم فقط ، بل تعدى ذلك إلى درجة أن القضاة أصبحوا هم الموجهون الحقيقيون رفقة الفقهاء للخلفاء و الولاة ولعل خير دليل على ذلك هو قول ابن أبي زرع في الخليفة المرابطي علي بن يوسف فيما قام به من أعمال بعد توليه السلطة مباشرة إذ قال فيه :"لما ولي علي بن يوسف حكم الدولة المرابطية أقام العدل وضبط الثغور ... ورد أحكام البلاد إلى القضاة [1] ".

ويُستشف من هذا القول، بأن القضاة في هذا العهد كانوا أصحاب جاه وشأن كبيرين ولا ريب في أن النظر في أمور الأشخاص المهمشين والمحتاجين كان من اختصاصهم هم وبعض الشخصيات الحاكمة الأخرى [2]، على عكس الفترة الموحدية التي لم يحظ فيها القضاة بمثل هذه المكانة، بل إن اختصاصات القاضي الموحدي ظلت تتأرجح ما بين النظر في الأمور الاجتماعية و الأمور الدينية ، فعمل القضاة الموحدون على النظر في الأنكحة و المواريث والشكاوي والإشراف على شؤون المحتسبين ، وتوزيع الزكاة على الفقراء و المساكين [3] .

ونظرا لشساعة الرقعة الجغرافية للدولة الموحدية؛ يبدو أن اهتمام القضاة بشؤون هذه الطبقة الاجتماعية كان كبيرا جدا و قد منح هذا الأمر لهؤلاء القضاة تجنبا للنقم و

1- ابن أبي زرع الفاسي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ،دار صور للطباعة و الوراقة ، الرباط ، المغرب ، 1972م ، ص 157.

2 - أبو الوليد محمد بن أبي رشد القرطبي ، فتاوى ابن رشد ، تقديم و تعليق ، المختار بن الطاهر التليلي، ج 01 طبعة01 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1987م ، ص 182.

3 - عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص ص 201 -203.

التمردات على الأوضاع السائدة ولهذا نجد أن القضاة الموحدين بسطوا أيديهم على كل الأمور الاجتماعية [1].

وعلى العموم، فإن درجة تأثير وتأثر الطبقة المهمشة بعنصر القاضي في بلدان المغرب الأوسط السالفة الذكر كان كبيرا لحد ما، يختلف من دولة إلى أخرى و ذلك باختلاف مجموع المهام

والأحكام التي كان القضاة يسخرون للقيام بها ولو أن الكثير منها كان لأغراض سياسية على حسب ما بدا لنا.

**خاتمة :**

من خلال ما سبق، يتّضح لنا بأن مجتمع بلاد المغرب الأوسط كان مجتمعا طبقيا تأثرت فيه كل الشرائح الاجتماعية ببعضها البعض، ومنها الطبقة الحاكمة التي كانت تشغل السلطة العليا في مختلف الدول التي تعاقبت على الحكم البلاد في علاقتها بالطبقة المستضعفة التي عاشت أحلك الظروف وأصعب الأوقات وظلت تصارع من أجل الحصول على فرصة العيش الكريم داخل أسوار هذا المجتمع ، وقد تباينت هذه العلاقة من وقت لأخر ، فقد وجد من الحكام ومعاونيهم ممن حاولوا تحسين أوضاع المهمشين والاهتمام بهم وهو ما جعلهم يكتسبون احترامهم وودهم وطاعتهم في مختلف الظروف ، كما وجد نوع آخر من الحكام ممن تخلوا عن الاهتمام بشؤون المستضعفين في مجتمعهم والنظر إليهم بنظرات الحقد والاستصغار .

1 – كمال السيد أبو مصطفى ، محاضرات في تاريخ الغرب الإسلامي و حضارته ، مركز الإسكندرية للكتاب الإسكندرية ، مصر ، 2007م ، ص ص 110 – 111.